المحاضرة الثامنة

تنظيم المجتمع النبوي في المدينة المنورة

ثانياً : حقوق وواجبات غير المسلمين في الدولة الاسلامية :

هناك من يهود الأوس والخزرج هؤلاء يتبعون قبائلهم في الحقوق والواجبات .

هذا االدين انما جاء لاقامة العدل في الأرض ، فليسلم من يسلم وليبقى على دينه من يبقى ، المهم في الأمر كله أن تحكم الأرض بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وجاء هذا الدين رحمة للبشرية وجاء مراعيا للكرامة والخلقة الإنسانية وللحقوق والواجبات ولمنع كل ما يتعارض مع الحقوق الإنسانية ومع الواجبات ، وان الناس جميعاً يتساوون في الكرامة الإنسانية وفي الحقوق والواجبات .

من ضمن الوثيقة الدستورية الإسلامية التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة أن حدد واجبات غير المسلمين .

طبعاً تكلمنا عن اليهود ومشكلتهم واعاقتهم للدولة السياسية وان النبي لم يأتي ليقاتل هؤلاء وليس وقت القتال الآن في المدينة المنورة لم تتقوى الدولة بعد ولا يجوز أن يقتل المرء من أجل أن يسلم ، اعرض عليه الاسلام فإن قبل أهلا وسهلا وان لم يقبل الإسلام فشيء بينه وبين ربه على المستوى الفردي .

لكن على مستوى الدولة هناك أحكام شرعية أخرى أحكام الذمة وأحكام الغزو وغيرها .....

في المدينة المنورة النبي عمل وثيقة دستورية من ضمن ما تضمنته حقوق وواجبات غير المسلمين في المدينة المنورة .

هناك من يهود الأوس والخزرج هؤلاء يتبعون قبائلهم في الحقوق والواجبات .

الأوس قبيلة والخزرج قبيلة منهم يهود لينضموا إلى قبائلهم في الأحكام التي أوردها النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

هناك تجمعات يهودية في المدينة المنورة مستقلة خارجة عن التبعية القبلية كبني النضير وبني قريضة وبنو قينقاع ولها قبائلها وزعامتها فقد كانوا مندرجين تحت أحكام الوثيقة مع اليهود والتي من ضمن بنودها :

- حرية العبادة في المدينة (انظروا الى سماحة هذا الدين وهذا النبي الكريم ، قال لهم النبي مارسوا عباداتكم ولا تثريب عليكم ، المسلمون يمارسون عبادتهم واليهود أيضا بدونما تجريح للمسلمين ، وهذا في مصلحة اليهود ، لكن لا يرضيهم شيء)

- تحريم الظلم (انتم كنتم يا يهود في صراع مع الأوس والخزرج وكنتم في صراع فيما بينكم وكانت المدينة غير مستقرة وكان الامن غير مستقر وكان الظلم قائم في المدينة المنورة ، اليوم لا ،، جائت الدولة وبسطت الدولة يدها والظلم ممنوع ومحرم ، يعني انت أيها اليهودي لا يقع منك ولاعليك ظلم أبداً ، إذن الجميع يعيشون تحت مظلة العدل الإسلامي وهذا في مصلحة اليهود ، لكن لا يرضيهم شيء)
- يهود المدينة يعتبرون من مواطني الدولة (له كل الحقوق وعليه كل الواجبات ، النبي لم يطرد اليهود بل اعتبرهم من مواطني الدولة وتسري عليهم أحكام وخدمات وحماية الدولة ، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعطي اليهود هذه الميزة لم يجعل الدين هو الأساسي في اعطاء المواطنة وانما تركها للمصلحة والا لو كانت المواطنة مرتبطة بالدين ماكان للنبي أن يعطيهم هذه الميزة ولكن مصلحة الدين اقتضت اعطائهم المواطنة في هذه الدولة ، فنحن نرى في كثير من البلدان الإسلامية ديانات متعددة تحت مظلة دولة واحدة ، خذ مثالاً على ذلك : مصر ،، فيها مسلمين فيها أقباط ومسيحيون ويهود ، الكل تحت مظلة الدولة وغيرها بلدان أخرى لبنان ، سوريا ، المغرب ، العراق وهكذا ... وكان ذلك في المدينة المنورة لكن المواطنة هذه لها شروط : الدولة اذا تعرضت لغزو تدافع عن الدولة فأنت مواطن لابد أن تدافع عن الوطن وأن تحرص على العدالة لابد أن تكون جزء لا يتجزأ من هذا الوطن ، لابد أن تسير تجاه الدولة في الوطن ، ولا تعاكس سياسة الدولة في الوطن ، هذا التراب للجميع ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم أعطاهم هذه الميزة ، كانوا في صراع شديد مع الاوس والخزرج الآن لا فالدولة تمنعهم وأصبحوا مواطني الدولة)
- على يهود المدينة الدفاع عن الدولة (طبعاً مادام أنتم مواطنين وقد حرم الظلم وضمنت كرامتكم الإنسانية وكل هذا إذن عليكم أن تدافعوا عن الدولة إن هي تعرضت إلى أي حادث خارجي او حتى حادث داخلي)
- وعلى يهود المدينة باعتبارهم مواطنين المشاركة بالنفقة مع الدولة (اذا حدث حادث للدولة واضطرت الدولة أن تستفيد او تأخذ من مواطني الدولة لما لا يشارك اليهود الدولة لأنهم أصبحوا من مواطنيها)
- منع الاخذ بالثأر وتحويل ذلك ليد الدولة (مامعنى الكلام هذا ؟! معناه انه لو ان مسلم قتل يهودياً لا يأتي ولي الدم اليهودي ويأخذ الثأر ويقتص بنفسه ، والعكس .. لا .. يمنع هذا في الدولة بل يسحب الثأر ويوضع في يد الدولة جماعة هي التي تحقق هي التي تتابع هي التي تحق الحق وتبطل الباطل وتمنع الجور في الأخذ بالثأر وبالأخذ في سفك الدماء ،، إذن المسألة هنا هي تأسيس الأمن القوي في المدينة المنورة وأيضا الحفاظ على الكرامة الإنسانية في الحقوق والواجبات ، كل هذا أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لليهود)
- كل ما تقرره الدولة من سلم أو حرب يسري على الجميع (لأنه من مواطني الدولة وعليه أن ينسجم مع تعليمات الدولة)
- صيانة الكرامة الإنسانية لكل من هؤلاء على تراب الدولة (هذا الاسلام جاءنا بهذا وهذا نبي الله جاءنا به وهاهو ذا يفعل الوثيقة بينه وبين يهود المدينة المنورة)

اليهود لا يرضيهم هذا الشيء أبداً ، ولا يرضيه أبداً إلا قتل النبي ولا يرضيهم أبدا إلا اقتصاص الدماء ولا يرضيهم أبداً إلا العبث والأنانية المفرطة .

ولو كان لليهود عهداً لكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، اليهود ناقضوا العهود ليس لهم عهد ولا وعد ولا ميثاق ولهذا نجدهم قد نقضوا هذه الإتفاقية وهذا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . نقضته يهود بني النضير وبني قينقاع وبني قريضة واحدة تلو الأخرى .

نقض اليهود للمعاهدة :

كيف نقضوا العهد ؟!

أول من نقض المعاهدة / يهود بني قينقاع :

في السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر – وسنتحدث عن هذه الغزوة ان شاء الله لاحقاً – لها أسباب وآليات ونتائج .

انتصر المسلمون في غزوة بدر ولم يكن هناك فيها يهودي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر أو للإستيلاء على عير أبي سفيان .. وهذا أول نقض للإتفاقية ، بالطبع النبي ندب ندباً ولم يأمر أحد بالخروج معه .

انتصر المسلمون في بدر وحينما عاد المسلمون وسمع اليهود بانتصار المسلمين في بدر أزعجهم ذلك كثيراً جداً .. وأصابهم ذلك بخيبة أمل كبرى وكانوا يأملون في أن تنهار الدعوة وينهار النبي أو تطبق قريش أو تطبق القبائل على المدينة لاستئصال النبوة ، كانوا يأملون ذلك !!

لكن بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين الذي كان فرقانا بين الحق والباطل والذي كان فرقانا بين حسابات الناس والنصر والهزيمة ، أزعج ذلك اليهود وحينما عاد النبي إلى المدينة المنورة بدأ اليهود يتحدثون مع المسلمين ويقللون من أهمية هذا النصر في بدر ويقولون حتى للنبي " لا يغركم أنكم قابلتم لا علاقة لهم بالحرب ولا بصر لهم بالحرب ولا معرفة لهم بالحرب ، يقصدون أهل مكة ، يعني هم تجار وحجاج لا يعرفون الحروب ، لكن لو قابلتمونا نحن معشر يهود لعلمتم أن الناس – يعني نحن أهل قتال نحن أهل المنعة وأهل النصر –" هذا الكلام في حد ذاته مخالف كونك مواطن وكونك بينك وبين النبي عهد مخالف لكل ما التزمت به ومناقض كل عرف وكل اتفاقية ما بينك وبين النبي عليه الصلاة والسلام .

والنبي حذرهم من أن يلقوا مصير قريش في بدر ، لكن النصر في بدر جعل اليهود يقولون في انفسهم نحن مابين حياة أو موت .

بعد نصر المسلمين في بدر وبعد نصر هذه الثلة القليلة نحن في خطر محدق وفي خطر كبير ونحن بين حياة أو موت ولابد أن نعمل ، ولهذا عملوا جاهدين لمقاومة النبي عليه الصلاة والسلام ، وفعلاً

اعلنوا الحرب في المدينة المنورة ، حرب بطريقتهم هم بمكرهم ، بخداعهم وأعمالهم التي تخالف وتناقض الوثيقة والعهد الذي بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام .

أحد يهود بني قينقاع ، كانت هناك امرأة من نساء المسلمين جالسة في السوق وجاء من وراءها هكذا وربط طرف ثوبها من تحت باعلى الثوب فلما قامت المرأة انكشفت عورتها فسارع رجل من المسلمين وقتله وكانوا قد فعلوا قبل ذلك ما يوجب نقض العهد ، حينئذ جاء النبي عليه الصلاة والسلام واعتبر هذا اعلان صريح من يهود بني قينقاع لنقض العهد .

فذهب النبي إليهم وكان يريد أن يقتلهم كلهم لأنهم نقضوا العهد ولكن تشفع فيهم عبدالله بن أبي بن أبي سلول رأس المنافقين فألح على النبي عليه الصلاة والسلام فعدل النبي عن قتلهم وأجلاهم خارج المدينة المنورة وطردهم وخليت المدينة من يهود بني قينقاع وبقي فيها بني قرضة وبنو النضير .

ثاني من نقض المعاهدة / يهود بنو النضير :

وجبت ديتان على المسلمين ، واحد من المسلمين قتل اثنين خطأً فوجبت الدية على المسلمين .

النبي عليه الصلاة والسلام ذهب إلى يهود بني النضير من أجل أن يساهموا مع المسلمين ومع الدولة في دفع الديات .. لماذا ؟ لأنهم من مواطني الدولة ، ومن شروط الدولة ان ماتقرره من سلم أو حرب أو ديات فالجميع فيه سواء .

يهود بني النضير حينما علموا ان النبي سيأتيهم للإستعانة بهم في دفع الديتين سروا وقالوا هذا الوقت الذي نريده سيأتينا محمد إلى هنا وسوف نغتاله ونفكر في خطة لإقتياله وفعلاً دبروا خطة وتآمروا واتفقوا أن يجلسوا النبي عليه الصلاة والسلام بجانب جدار وهناك من يحضر حجر كبير فوق السطح فإذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم ألقوا بذلك الحجر الكبير عليه فيقتله .

كانت هذه خطة اغتيال لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

النبي كان هناك والله تعالى معه أطلعه على هذه الخطة والمؤامرة فقام النبي عليه الصلاة والسلام وخرج من المدينة ورجع عليهم وحاصرهم حولا من شهر وقطع أشجارهم ودك حصونهم وأذن بهم بالخروج والذي يستطيع أن يأخذ ويحمل معه ..

واتبعوا سياسة الأرض المحروقة ، أن يخرجوا ويدمروا ما ورائهم ولذلك قال الله تعالى " يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين " هذه الآية نزلت في يهود بني النضير .

يعبثون بأملاكهم ويحرقون بيوتهم وأشجارهم ، يهود بني النضير أجلوا من المدينة المنورة كما أجلي يهود بني قينقاع فمن الذي بقي ؟ بقي يهود بنو قريضة .

أين ذهبوا بنو النضير ؟

ذهبوا إلى خيبر بزعامة حيي بن أخطب وعبد الله بن الحقيق وغيرهما ..

ثالث من نقض المعاهدة / يهود بنو قريضة :

حيي بن أخطب وهو زعيم اليهود وهو في خيبر اجتهد أيما اجتهاد في الانتقام من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب بنفسه إلى مكة المكرمة وبدأ يحرش قريش وقطفان ومن لف لفيفهم من القبائل على الإنقضاض على المدينة وعلى النبي عليه الصلاة والسلام ونجح في ذلك .

فقريش تجهزت بعدها وعتادها ومن لف لفيفهم وجاءوا إلى المدينة المنورة بأكثر من ١٢٠٠٠ مقاتل ..

ليحاصروا المدينة ويحاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بمكر يهودي من حيي بن أخطب وابن الحقيق .

جاءت هذه الأمم من قريش ومن معها إلى المدينة المنورة وحاصرت النبي صلى الله عليه وسلم كما تعرفون في غزوة الخندق وأطبقت على المدينة المنورة ولقي المسلمون عناءً شديداً وبلغت القلوب الحناجر كما قال القرآن الكريم وحوصرت المدينة أيما حصار وحوصر عليه أفضل الصلاة والسلام وأصحابه ، وماذا يفعلون واثنا عشر ألف مقاتل حول المدينة المنورة .

سيدنا سلمان الفارسي أشار إلى النبي بحفر الخندق حول المدينة وقال " يا رسول الله نحفر خندقاً حول المدينة المنورة " ، والنبي أخذ برأي سيدنا سلمان على الفور وبدأ الصحابة والنبي بحفر الخندق وكان سبباً من أسباب النصر التي ساهمت في هزيمة قريش ومن معها .

الأعداء جاءوا على المدينة وبنو قريضة داخل المدينة وهم معتبرين مواطنين من مواطني الدولة اذن من واجبهم الدفاع عن هذه الدولة مع المسلمين في وجه هذا الغزو ، لكنها لم تأتي للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلم النبي أن بنو قريضة يتخابرون مع قريش ويعطون معلومات عن المسلمين وأنهم يطعنون من الخلف .

حيي بن أخطب جاء بنفسه من خيبر إلى يهود بني قريضة يدير معهم العملية الاستخباراتية والتجسسية على النبي صلى الله عليه وسلم .

النبي بعد أن نصره الله سبحانه وتعالى في غزوة الأحزاب وانكشف الأعداء وربنا أجلاهم علم أن يهود بني قريضة وقفوا مع المشركين ووقفوا ضد النبي عليه الصلاة والسلام ، فوجه النبي أصحابه لبني قريضة وقال " لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريضة " وذهب النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين إلى بني قريضة وحاصرهم حولاً من شهر وقاتلهم كلهم ماعدا النساء والأطفال ومن ضمن من قتل حيي بن أخطب الذي كان يدعم يهود بني قريضة .

إذن الآن صفيت المدينة من اليهود ،، يهود بني قينقاع وأجلوا وطردوا ، وبني النضير وأجلوا وطردوا ، وبنو قريضة وقتلوا كلهم ولم يبقى أحد من هذه الزعامات ومن اليهود .

وانسجمت الحركة السياسية في المدينة المنورة واستراح المسلمون من اليهود في المدينة المنورة وبقي بنو النضير في خيبر .

النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشه وذهب إلى خيبر ومعه الصحابة وحاصر خيبر أيضاً حولا من شهر ودك حصونهم وكانت هناك بطولات كبرى للصحابة ومن بينهم سيدنا علي رضي الله عنه وبعد هذا الحصار فتح الله خيبر على المسلمين وقتل من قتل وأسر من أرسر وفر من فر وسبي من سبي في خيبر .

من ضمن من وقع في الأسر السيدة صفية بنت حيي بن أخطب زعيم اليهود الذي كان يألب القبائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي قتل في قريضة ، كانت ابنته في خيبر وقعت في السبي وكانت من نصيب النبي عليه الصلاة والسلام أسلمت وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وأصبحت أماً للمسلمين رضي الله عنها .

كان النبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يدخل بها في خيبر ولكنها اعتذرت .. لماذا ؟

هل تظنون ان ذلك استنكافا منها رضي الله عنها ؟!! أو عدم رغبة ؟؟

لا أبداً .. ولكن عندها الحس الأمني ، كانت حليفة عهد بمكر اليهود تعرف خصائصهم ودسائسهم ومكرهم وحيلهم ولهذا كانت تخاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكر اليهود وهو مازال في خيبر .

انظروا إلى هذه المرأة العظيمة وإلى حسن التبعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالنبي استجاب لها ودخل بها فيما بعد .

وهذه في الواقع مهمة للغاية للمرأة أن تتحسس ما يسعد زوجها وما يصرف عنه السوء وتتحسس كل الإيجابيات اللائقة به وتصرف عنه كل السلبيات هذه صاحبة منهج رضي الله عنها .

سيدنا جعفر بن أبي طالب أخو النبي وابن عمه ، قدم من الحبشة وكان فيها ١٤ عاما كما قلنا .. عندما جاء أشركه النبي عليه الصلاة والسلام في الغنائم وفرح فرحاً شديداً بمقدمه وقال " لا أدري أأفرح بالنصر في خيبر أم أفرح بقدوم جعفر "

الواقع ان فرح النبي عليه الصلاة والسلام ليس بمجرد قدوم جعفر لكونه ابن عم النبي .. هذا صحيح لكن لا لم يقارن النبي النصر في خيبر بقدوم سيدنا جعفر ، لكن سيدنا جعفر كان يؤدي مهمة كبرى النبي ذاته كان يؤديها في الحبشة وانتشر الاسلام هناك ، فانتشار الإسلام هناك يفرح النبي صلى الله عليه وسلم كما أفرحه انتصار الإسلام في خيبر .